تاريخ نشوء الخط

وارتقاؤه في الشرق والغرب

(تابع المنشور في العدد الماضي)

(بقلم حضرة المؤرخ المدقق والكاتب المحقق الحاج ميرزا عبد الحميد خان
ايراني مؤدب السلطان صاحب جريدة چهرنماه الفارسية)

دور الصور والرموز

مضى زمن طويل وأهل مصر وآسيا الصغرى يتبادلون الافكار ويتراسلون بواسطة صور الحيوان والاشياء الذاتية وكان مثل هذا الخط سببا في كثير من الاختلافات وكان لكل صورة معنى خاص عند كل أمة يضيع بسببها فكر الكاتب عند القارىء حتى وضع المصريون الخط الخيروغليفي (الحروف المقدسة) من تلك الصور ويتركب هذا الخط من صور الحيوان والاشياء وبعض الرموز مثلا اذا كانوا في الازمان السابقة يعبرون عن الليل بالقوس والنجم فحذفوا القوس واكتفوا بالنجم وتعبير الاسبقين عن العدد العظيم من العدو برسم رجل ونقط عديدة اكتفوا برسم يد ورمزاً يدل على العدد العظيم

ولكن الاشكال التي يجوز تسميتها حروفا وكانت مستعملة في الدور الاول كانت عبارة عن تسعة وعشرين صورة حيوانية ولكنها في هذا الدور اتسعت حتى اصبحت تسعين وقد تدرجت هذه التسعين بالزيادة الى أن وصلت الى الف وسبعمائة شكل ووقع بذلك الناس أكثر من ذي قبل في الحيرة والارتباك وكانوا يستغرقون زمنا طويلا ليحضروا الصور والاشكال على قطعة من الحجر أو الخشب اذا أرادوا ارسال أفكارهم الى جهة أخرى لم يوفق أحد الطرفين الى معرفة ما بضمير الآخر

دور التقدم وظهور الحروف الهجائية

مضى زمن غير قصير على المصريين والفينيقيين صادفوا في خلاله مصاعب جمة بسبب كثرة عدد الصور والرموز وتنوع أشكالها فقد كانت تبلغ كما قدمنا الفا وسبعمائة

صورة من صور المخلوقات والحيوانات وكثيرا ما كان يضرف الانسان المستعجل زمنا طويلا لنقش صورة من الطيور وبما أن الصور عديدة مختلفة وكان تغييرها وتأويلها صعبا كان يصعب على قارئها فهمها ساعة وصولها اليه وكان يطلب أن تكون الرسالة شفهية أو يطلب من الكاتب أن يحضر اليه ليقرأ له ما كتب فكان الكاتب يقطع المسافات الطويلة في الذهاب الى من يريد مخاطبته وينفي عمله معه ولا يخفى ما كان يطرأ على الاعمال من التأخير ولنضرب لذلك مثلا ان رجلا بالقاهرة يريد طلب اردب من القمح فيصرف مع الكاتب زمنا طويلا في نقش بعض الصور على قطعة من الحجر أو الخشب ليفهم الريفي ما يريد وعند وصول قطعة الخشب أو الحجر اليه ربما انه لا يفهم المراد فيردها ثانية الى مرسلها وتبقى المسألة معطلة مدة غير يسيرة

أما الفينيقيون الذين كانوا مرتبطين بالمصريين أكثر من غيرهم بسبب الاتجار والذهاب والاياب من وقت لآخر وكان الخط عندهم صعبا أيضا فقد نشطوا من عقالهم جريا وراء منفعتهم الشخصية لاصلاح الخط المصري . وكان المصريون يسمون البقر (آوا) ويعبرون عنه برسم رأس بقرة فرسم الفينيقيون حرف الالف ليدل على البقر بدلا من رسم صورة رأسها وكان المصريون يرسمون مربعا ليدلوا به على (البيت) وكان اسم البيت بلغتهم (بيت) فوضع الفينيقيون للدلالة على (البيت) حرف (ب) وكان المصريون يرسمون رأس الجمل للدلالة عليه وكان اسمه بلغتهم (جيمل) فوضعوا حرفا على شكل رأس الجمل وسموه (جيمل) وذلك كله كان حسب المعمول في لغتهم وعلى هذا الخط سارعوا في اصلاح الحروف أي أنه انتقلت الكتابة من صور وأشكال الى حروف وتألفت اذ ذاك حروف هجائية مستقلة وكان لكل منها اسم وصوت خاص .

دور الحبر والوصول بدل النقش على الحجر والخشب

لما سهل أمر الكتابة وانتقلت من صور الاشياء برسمها الى صور ونقوش أصغر منها ثم الى حروف معينة ظهرت للمصريين صعوبة الحفر على الحجر والخشب ففكروا في طريقة لتغيير ذلك فاستعاضوا عن المطرقة العظيمة الحجم بقلم صغير وعن قطعة الخشب أو الحجر بطروس فكروا في يديه الامر باتباع طريقة التلوين بدلا من الحفر

فاختاروا الالوان الثلاثة وهي الاسود والاحمر والاخضر واتخذوا قطعة مسطحة بدلا من الدواة وفي نهايتها بعض ثقوب وضعوا فيها هذه الالوان واستبدلوا المطرقة بقطعة صغيرة من الخشب وعلى هذا المنوال كانوا يكتبون من أعلى الى أسفل ويفصلون الاسطر بعضها عن بعض بالخطوط السوداء . ولما استراح المصريون من عناء استعمال الحفر والمطرقة العظيمة ظهرت لهم صعوبة نقل الاخشاب والاحجار اذ أن الالواح الصغيرة المتعددة كانت تحتاج الى قطع عديدة من الخشب والحجر ففكروا في ايجاد شيء أخف من الحجر والخشب فاستعملوا ألياف الاشجار وورقها ثم ارتقوا تدريجا الى استعمال ورق البردي المسمى عندهم بيبروس (Papyras) الذي كانوا يصنعونه بأنفسهم وكانت له شجرة تقرب في السمك من ساعد الانسان وفي الطول عشرة أقدام وعلى رأسها تاج من الورق فكان المصريون يصنعون ورقهم من لب ورق التاج وكانوا يبلون تلك الاوراق بماء النيل ثم يدقونه فينشفونه ثم يضغطون عليه بقطعة من الصدف لتسطيحه ثم يقطعون أطرافه ويجعلونه على شكل مربع . ووصلت صناعة الورق الى درجة الكمال بمصر لم يصل اليها أحد من الامم فكان أحد صناع الورق ينباهى بأنه يمكنه مما يكتسبه من صنعته أن يؤلف جيشاً كامل العدد والعدد وقد اشتقت كلمة (Papies) الفرنسية من كلمة (Papyrous) ثم انتشرت الكتابة على هذا الورق من مدة ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ومازال موجوداً الى الآن

استنباط الخطوط من الخط الهيروغليفي

لما ارتقى الخط الهيروغليفي تدريجياً حسب الادوار السابقة الذكر حتى كمل الى أن صار حروفاً تشعبت الحروف وصارت مختلفة الانواع ليكون هناك فروق بين الحروف التي يستعملها الملوك والوزراء والعلماء حتى لايكون بين خطوطهم مشابهة فاشتق الخط الهيراتيك والديماتيك من الخط الهيروغليفي فالاول معناه (مقدس) وسمي كذلك لانه كان مختصا بالعلماء والكهنة ولم يكن لاحد سواهم الحق في استعمال هذا الخط وقد كان أخف من الخط الهيروغليفي وقد كان يشبه الخط المعروف الآن بالرقعة ولم يكن يشابه الخط الاصلي كثيراً وكان يستعمل في الكتابات الرسمية والدينية والمذهبية وأما الثاني (وهو الديماتيك) ومعناه (الخلق) وكان يستعمله جميع

الناس وكان يشبه الخط الهيروغليفي الا أنه عُدِّل كثيراً وأصبح سهلا جداً وكان يستعمل في الكتابات اليومية والمطالب العمومية وصار استعماله من القرن السادس قبل المسيح الى القرن الثالث بعد الميلاد

طريقة كشف معاني هذه الخطوط

ابتدأ كشف هذا الخط بظهور حجر أسود بمصر كان مكتوبا عليه من الأعلى بالخط الهيروغليفي وتحته بالخط الديماتيك وتحته بالخط اليوناني وكان قد كتب سنة ٩٦ بعد المائة قبل الميلاد والكتابة التي عليه كانت «أن علماء مصر في بلدة ممفيس كتبوا بيانا يوقرون فيه ويقدمون احترامهم لبطليموس الرابع» وأول من ترجم هذه الكتابة الدكتور (جون) الانجليزي الذي اكتشف أن الحروف الهيروغليفية كانت تستعمل بدلا عن الاصوات وبعده كشف (شامبليون) الفرنساوي كثيراً من غوامض هذا الخط. أما قطعة الحجر الاسود المذكور آنفا والتي كان مكتوبا عليها الخط الهيروغليفي والديماتيك واليوناني فقد وقعت في يد أحد الضباط الفرنساويين الذين كانوا تحت قيادة نابليون بونابارت عام ١٨٩٩ في بلدة روزيتا (رشيد) وننقل هنا نصها كتبه صديقي المرحوم جرجي بك زيدان في مجلة الهلال لسنتها التاسعة عشرة صحيفة ٤٩٨ في باب السؤال والاقتراح

انتقال الخط الفينيقي الى اليونانه

في الوقت الذي ارتقى فيه الخط المصري بأنواعه الثلاثة (الهيروغليفي والهيراتيك والديماتيك) الى درجة الكمال كان الخط الفينيقي أيضا وصل أيضا الى درجة التمام وبما أن اليونان وهي أقدم الامم الاوروبية كانت أكثرها اختلاطا بالفينيقيين وأقربها اليهم نقلت عنها الحروف الفينيقية بأكملها ثم أدخلوا على تلك الحروف بعض الاصطلاحات حتى أصبحت أحسن بكثير من الحروف المصرية والفينيقية وكذلك امتازت الحروف اليونانية بحركات الاعراب التي لم تكن موجودة بالخط الفينيقي فمثلا من الالف وضعوا الف وهي علامة الفتحة ومن الهاء أخذوا (ه) وهي علامة الكسرة ومن العين وضعوا (ع) وهي علامة الضمة الى آخره وأدخلوا هذه ضمن حروف الهجاء

واختلف اليونانيون عن الفينيقيين بابتداء الكتابة من الشمال الى اليمين (وكان الخط الايراني في هذا الوقت عند ما كان اليونان والمصريون والفينيقيون يصلحون خطوطهم في غاية من الكمال والتمام) وقد أخذ اليونانيون عن الايرانيين الكتابة من الشمال الى اليمين نظراً لارتباطهم بعضهم مع بعض فعرفوا ميزة الكتابة على هذه الطريقة ومن الطبيعي أن الحروف الهجائية اليونانية السابقة تختلف بكثير عن الحروف الهجائية اليونانية الحالية (تتمة الكلام في العدد القادم)

أوربا ترقص

قال كاتب رومي في احدى المجلات :

طافت العواصم والبلاد والقرى والضياع في اكثر ممالك أوربا فوجدت أهلها على اختلاف مشاربهم وطبقاتهم ومراكزهم متفقين على أمر واحد اتفاقاً وثيقاً وهو « الرقص »

ان أوربا وأميركا عقدتا اتفاقاً بعد الحرب على تعميم الرقص وانتشاره في كل مكان انك لو ألقيت نظرة على سكان المدن والقرى حتى الحقيرة والصغيرة منها تجد أهلها من حاكم وأمير وعالم ومكتشف وصعلوك حقير وسيدة من الطبقة العالية بل قل ملكة وأميرة وخياطة وغسالة جميعهم وجميعهن يحسنون الرقصات المسماة : فاكستروت وتيمي وشارلستون وكلها مشتقة من الرقص البربري الافريقي والاميركي . وهذا الرقص عبارة عن طاعون أو مرض فتاك انتشر في كل مكان ذلك لانه لا توجد مدينة تخلو من مئات من المحلات المعدة للرقص ومئات من المطاعم والفنادق التي يرقصون فيها

يرقص الشيوخ والشبان والمقاتل والاوانس الجميلات الفتيات والعجائز الدميمات . ترقص الفتاة البالغة من العمر اثني عشرة سنة والشيخ الهرم الذي جاوز